في العام ١٩٥٦ اتخذ نيكيتا خروشوف « موقف الصواريخ » الشهير ضد محور العدوان الثلاثي على مصر . غير ان ذلك الموقف لم يأخذ صداه العالمي لان موسكو كانت غارقة آنذاك في أتون الحرب الباردة مع العالم الرأسمالي . ومن هنا فان قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل خلال حرب حزيران ، مع انه لم يصل الى حد سحب الاعتراف بالكيان الصهيوني ، كانت له أهمية أضخم بكثير . ذلك ان الظروف الدولية كلها كانت قد تغيرت في العقد الذي مضى على العدوان الاول ، وكان الاتحاد السوفياتي قد فرض نفسه فعلا دولة كبرى متفوقة عسكريا وعقائديا وسياسيا في تزعم العالم ، ولذا فان قطع العلاقات مع اسرائيل كان ، بين امور أخرى ، تكريسا لانقسام العالم فعلا للمرة الاولى حول ما كان العالم قد اقترفه قبل عشرين عاما تماما من ذلك التاريخ : تقسيم فلسطين .

هذا الموقف ايضا وضع الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية في صف المواجهة المعلن الى جانب الدول العربية في وجه اسرائيل من جهة ، وفي وجه الولايات المتحدة من جهة اخرى . وبالتالي فان اي خطوة مقبلة كان سيتخذها الاتحاد السوفياتي سوف تكون خطوة الى الامام . وهكذا ، بالفعل ، لم يعد الدعم السوفياتي مقتصرا على تأييد الدول العربية في استعادة الاراضي المحتلة ، بل تعداها تدريجا الى حد التعامل مع الثورة الفلسطينية على اساس كونها السلطة الوطنية الحية .

ومن قبيل الانصاف والبديهيات التاريخية ، ان الدولة السوفياتية لم تذهب في تأييد قضية ما ، المدى الذي ذهبته في تأييد القضية العربية ، الا ربما في كوبا ، مع اختلاف الظروف والمضاعفات بين الوضعين .

الموقف السوفياتي كان ، من دون اي شك ، بداية العزلة الاسرائيلية على المسرح الدولي . ومع انه لم يكن عنصرا مباشرا ، مثلا ، في مقاطعة القارة الافريقية لاسرائيل ، فان موقفه اثر بالتأكيد ، والى حد بعيد جدا ، على نظرة القارة الاوروبية الى الصراع العربي — الاسرائيلي في السنوات العشر الاخيرة على الاقل .

الى أين تذهب موسكو من هنا ؟ وماذا بعد هذا التعاقد العاطفي والسياسي الذي لا يوازيه حجم اي تعاطف آخر بين السوفيات وبين اي أمة اخرى ؟ وماذا الآن ، خصوصا الآن ، بعد قيامة الوطن الفلسطيني ؟

ان أي حديث عن « النوايا » السوفياتية هو في الواقع تشكيك في عشرين عاما من الدعم السوفياتي . وان اي محاولة للمقارنة او اي محاولة لطرح القضية العربية في مزاد الانفراج والوفاق الدولي ، هي ايضا ضمن نطاق هذا التشكيك . اذ ليس منتظرا ان تتخلى موسكو عن القضية الفلسطينية في ذروة آمالها ، هي التي لم تتخل عنها في ذروة آلامها .

بل ان أي تقييم للموقف السوفياتي يظل ضمن نطاق البديهيات . فالمرء لا يترقب اصدقاءه على مفترق الطرق . انه يتوقع اعداءه فقط .

● بعضنا يرد الموقف الفرنسي من القضية الفلسطينية الى العام ١٩٦٧ ، أي يوم وقف الجنرال ديغول يعلن حظر الاسلحة على الدول المتقاتلة في الشرق الاوسط بينما كان يعلن هذا الحظر عمليا ، وانطلاقا من رؤيا تاريخية واضحة ، على اسرائيل ، باعتبارها كانت تعتمد على السلاح الفرنسي الى حد بعيد .

لكن الواقع أن حرب حزيران كانت مجرد فرصة لاظهار رؤيا قديمة . أو كانت ، على الاصح ، فرصة لاظهار تحول أسبق ، في نفس القائد الفرنسي الذي اشتهر